



لوحة رقم (٢٣) الفنان الأمريكي روبرت روخنبرج - المضيق .

المرحلة الأولى : التحليل الوصفي

هذه اللوحة التي تعود إلى عام ١٩٥٩م ، والتي أسماها صاحبها (روبرت روخنبرج) (Robert Rauschenberg) بـ " المضيق " . فعندما نمعن النظر في اللوحة نتعرف على أهم العناصر المرئية التي تحتويها هذه اللوحة بدأ بالطائر العملاق الذي بسط جناحيه يمنة وميسرة ، وربما يبدو هذا الطائر نسياً من ملامح مقدمة وجهه . حيث يمكن رؤيته وهو يقف فوق الصندوق الكرتوني أو الخشبي الأسود ، وأعلىه مفتوح

الجوانب . بينما في يسار اللوحة نرى مجموعة من الألوان التي وضعت بطريقة فوضوية أو عشوائية ، تتخللها بعض الكتابات غير الواضحة باللون الأزرق الباهت وهي كتابات كثيرة بعضها واضح بكلمات كاملة مثل كلمة "CAN" أو كلمة لا يوجد عمل " NO LABOR" ، والبعض الآخر مبعر ، ومجزأ ، والبعض منها كتبت دون تنمة حروفها مثل كلمة جمعية "SSOCIA..." . وفي أقصى اليسار نلاحظ وجود صورة معلقة تحمل تفاصيل طفل صغير برئ يرفع يده اليسرى إلى السماء ، وفي منتصف اللوحة إلى الأعلى صورة معلقة طمست بكاملها باللون الرمادي الفاتح ما عدا أجزاء من جهتها اليمنى ، حيث توجد معالم لصورة فوتوغرافية لرجل داخل المستطيل ذو خلفية البرتقالية . كما أنه يمكن رؤية عنصر بارز في أقصى اليمين من اللوحة ، وهو عنصر المساحة السوداء التي تشابه ورق الصحف وقد كتبت عليها عدة جمل من الكتابات الصغيرة جدا بالخط الأبيض على هيئة سطور أسفل المساحة السوداء ، وعن يمين جناح النسر توجد أيضا مساحة بيضاء ، وهي في حقيقتها عبارة عن الورق الأبيض المصقول ، وقد حرص الفنان على إزالة أطرافها أو حوافها باللون البني الفاتح . وكذلك فإن عنصر الوسادة المعلقة التي تتدلى إلى خارج إطار اللوحة بشريط مصنوع من قطعة القماش أو من حبل مفتول مثبت بعقدة مسمار في طرف لوح خشبي ممتد من يسار اللوحة .

المرحلة الثانية : التحليل الشكلي

احتوت هذه اللوحة على مضامين أشكال غير مألوفة في الأعمال الفنية ، فالنسر العملاق الذي بسط كلا جناحيه مثلا من الأشكال البارزة بشكل ملفت للنظر ، والذي بلغ حجمه بالنسبة لحجم اللوحة بشكل غير اعتيادي ، فربما يوحي لنا شكل النسر بعدة معان نراها في إعطاء مدلول عن رحلة طويلة ، ومتعبة قضاها النسر ربما بلغت عدة عصور ليحط في مرحلته الأخيرة ليرتاح بسلام أو ليفارق الحياة في حالة يأس . أو ربما يكون النسر من حركته متربصاً، ومتحفزاً لينقض على فريسته سواء كانت أرنباً أو فأراً أو طائراً

صغيراً أو شيئاً آخر . أو ربما يكون النسر متأهب بجناحيه للفرار من المكان الذي يعيش فيه إلى بيئة أخرى تحقق له كل مآربه في الحياة .

فيما سبق يتضح أن هذا الشكل يحتمل عدة معان كما أوردناها سابقاً ، وقد تكون إحداها محتمل الصحة بشكل كبير . وفي يسار اللوحة ألصق (روخنبرج) صورة معلقة تحمل صورة طفل ، والتي ربما تؤكد العلاقة بين شكل مجسم النسر وشكل الصورة ، فلو نظرنا إلى حركة النسر بجناحيه التي توحى بالتححرر والإطلاق والحرية ، فإن يد الطفل اليسرى في داخل الصورة متوجهة إلى الأعلى طالبة الحرية ، فكأنما الطفل يصرخ بما يصرخ به النسر طلباً للحرية . وهنا لجأ الفنان إلى استخدام التوازن اللاتماثلي من خلال طريقة التوازن باستخدام الأشكال وذلك بواسطة أشكال غريبة أو معقد كما في شكل صورة الطفل ، والتي حققت توازناً شكلياً مع شكل طائر النسر الذي يعد أكبر منها حجماً ومساحة .

وعندما نتناول جانب الألوان التي تمثلها هذه اللوحة ، نجد أن الفنان استخدم مجموعة كبيرة من الألوان في منتصف اللوحة ، والتي وضعت بأسلوب عشوائي أو عفوي من اللون الأزرق الباهت ، والأحمر بدرجات متفاوتة والبني ، وبالإضافة إلى الألوان المحايدة والمكونة من اللون الأبيض ، والأسود ، ودرجات متفاوتة من الرمادي ، وقد غطى الفنان خلفية العمل باللون البني الفاتح والذي يوحي كأن جدار المنزل أو الغرفة يبدو متسخاً. وعرف عن (روخنبرج) منذ بدايته أنه شغوف بالألوان المحايدة ، خاصة اللون الأبيض ، حيث كان يميل في معظم لوحاته إلى استخدام القصاصات من الورق العادي أو الصحف اليومية أو غيرها من الورق . فيقوم بإصاقها على سطح اللوحة ، ومن ثم يقوم بطمسها بالكامل باللون الأبيض غالباً كما فعل في اللوحة التي أمامنا ، فالمساحة البيضاء التي توجد بجوار الجناح الأيمن للنسر ما هي إلا قطعة من ورق الصحف ، وقد طليت باللون الأبيض ، وأزيلت حوافها بلون آخر ، فربما أراد الفنان إحداث توازن بين الكتل من خلال استخدام الملامس ، فالقطعة الورقية الملصقة في الزاوية اليمنى العلوية للوحة ذات الملمس المحدد حققت توازناً في المساحة التي تقع عن يسار جناح النسر،

ونلاحظ التوازن باستخدام الألوان الذي أوجده (روخنبرج) بين مساحة اللون الأبيض في الجهة اليسرى للوحة بحجم صغير الذي أحدث توازناً لونياً للون الأبيض في الجهة اليمنى ذات المساحة الكبيرة . أما من ناحية اللون الأسود الذي احتل مساحات متعددة في اللوحة عن يمين اللوحة ، ويسارها، ووسطها وأسفلها ، بالإضافة إلى لون شكل النسر وشكل الصندوق الخشبي أو الكرتوني ، والذي أوحى إلى افتراض أن النسر يعيش مرحلة الاحتضار والاستعداد لعالم الموت ، بعد رحلة من الظلام والشقاء والحزن الذي لازمه طوال حياته . أما مجموعة الألوان التي وضعت بشكل عشوائي فقد أعطت دلالة على حالة التقلب النفسي والمزاجي ، وفقدان الأمل، والصراع المتشكل في داخل ذات الفنان.

المرحلة الثالثة : تحليل المعنى
أ- التحليل الداخلي أو الضمني

إن اللوحة التي رسمها (روخنبرج) احتوت على رموز عالية ، وإشارات فنية مختزلة ، يرجع أساسها من الأفكار التي انبثقت عن المدرسة الغربية فوق الجبل الأسود . فالطائر الكبير المتمثل في النسر يرمز إلى طموح التحليق ، والاندفاع بقوة إلى الأعلى فربما يشير النسر إلى ذات الفنان نفسه الذي تعب ويئس ، وحاول يطرح العديد من الأفكار الفنية أو فهم المقاصد التي تشكلت في ذهنه ، التي يأمل منها أن تنطلق ، وأن تحلق ، وأن تتحرر إلى المدى البعيد إلى أفق أرحب يتسع لسعة فكره . فإن أي طائر في الطبيعة لا يقيد حركته ، ولا عن القيام بنشاط التحليق والطيران سواء الرياح القوية التي تدفعه إلى الوراء ، وهذا يجعله يطير باتجاه عكس ما يريد ، فالألوان التي وضعها الفنان بأسلوب عفوي ، وفوضوي خلف النسر فربما أشارت إلى رمزية رياح التخلف للفكر والفن ، والأدب ، والفلسفة ، وتياراته العارمة ، التي ينبغي على النسر أن يتأهب للانطلاق قبل مجيئها ، وإلا سوف تدركه تلك القوى الفكرية ، أو تكتسحه موجة ثقافية جديدة من رياح التغيير. مما يعني الخنوع ، والخضوع للحياة البليدة التي لا يرضاها (روخنبرج) ، وقد رمز إليها بالوسادة المتدللية دلالة على الهبوط إلى الأسفل ، أو اليأس . أما الصندوق الأسود الذي يجثم عليه النسر فهو يعد النقطة الفاصلة بين نقطة الانطلاق ، والتوهج ، أو ربما

نقطة التقيد للفكر، والحرية التي ينشدها أو نقطة المطاف الأخير ، والموت. أما رمزية الصورة المعلقة على يسار اللوحة التي تمثل الطفل فهي تؤكد على علاقة ما تم ذكره سابقاً أن الإنسانية أيضاً توافق إلى الانطلاق ، والتحرر ، أما الكتابات المبعثرة أو المجزأة فهي رمزية مصدر التعلم الأولي للفكر الفني الذي تشكل في ذهن الفنان (روخنبرج) الذي تلقاه من المدرسة الغربية فوق سفح الجبل الأسود .

ب- التحليل الخارجي أو غير الضمني

فالفنان كما يبدو من لوحته أنه متأثر بشكل كبير بطريقة أو أسلوب التعبير المعروف بـ " التصوير المترابط " ، الذي يقوم على التلقائية ، والحرية في طرح كل فكرة أو مضمون فني يجول في بال الفنان ، مع توظيف كل ما تمد إليه يد الفنان من خامات ، وأدوات حقيقية يستخدمها ، وقد عرف عن (روخنبرج) ميله الشديد إلى استخدام الصحف ، والجرائد ، والكتب ، والأشكال المجسمة من أشكال حيوانية أو عضوية أو هندسية ، مع تغير هيئتها أو طمس معالمها بعد ما يقوم بصلقها أو تركيبها على اللوحة . ويذكر أنه في إحدى جولاته الآسيوية أهديت له لوحة مشهورة لفنان مشهور يدعى " دي كوكنج " ، فعمد (روخنبرج) إلى طمس معالمها تماماً باللون الأبيض ، وعرضها في معرضه الشخصي باسم " لوحة (دي كوكنج) كما طمسها لوخنبرج " .